زواج ملكي

للأستاذ عباس محمود العقاد

لورنس هوسمان أديب شاعر رسام إنجليزي اشتهر بمسرحياته الصغيرة التي كتبها عن حياة الملكة فكتوريا ونشرها أخيراً « نادي النيوين » الذي يعارض جماعة الشمال من أصحاب المبادئ الاشتراكية والدعوات الانقلابية . وإحدى هذه المسرحيات مقصورة على المناقشة بين اللورد ملبورن والملكة فكتوريا عن مسألة الزواج الملكي وقد دار فيها بينهما هذا الحوار :

فكتوريا — إنني لم أفكر في أحد ما على التخصيص ... أعني أنني لم أتخذ بعد قراراً حاسماً

ملبورن — يفرج عني أن أسمع هذا يا مولاتي ، وأفهم منه إذن أن صاحبة الجلالة لا تزال طليقة الرأي ...

فكتوريا — طليقة الرأي ؟ نعم . نعم ، لا شك أنني صاحبة الخيار في الأمر يا لورد ملبورن

ملبورن — وكيف لا ؟ هذا ما أعنيه طبعاً ولا أشير بغيره لحظة

فكتوريا — لكن هناك أموراً قد عقدت النية عليها وبتتُّ فيها

ملبورن — مثل ماذا ؟

فكتوريا — أن يكون زواجي يا لورد ملبورن زواج عاطفة

ملبورن — ذلك ما يستطاع تدبيره فيما أعتقد يا مولاتي بغير مشقة

فكتوريا — أعني أنني أريد إنساناً أجل خلائقه ، وأستطيع أن أحبه وأن أرتفع إليه

ملبورن — ترتفعين إليه ؟ !

فكتوريا — نعم يا لورد ملبورن . وربما استغربت ما تسمع ؛ إلا أنني أريد زوجاً أتطلع إليه حقاً بعد أن تكمل له الدربة على المرتبة التي سيشغلها

ملبورن — آه . هو كذلك ، هو كذلك . إنني واثق من إمكان وجوده . وإذ كانت صاحبة الجلالة قد أعربت عن طلاقة رأيها في هذا الصدد فمنذى الساعة بيان بالأسماء المحتملة

فكتوريا — آه . لورد ملبورن ، ما أعجب هذا ! كم عددهم ؟

ملبورن — حسناً مولاتي . هم في الوقت الحاضر خمسة وحسب ، ولكننا ننتظر آخرين ...

فكتوريا — تنتظرون ؟ !

ملبورن — أريد أن أقول إننا نستخبر خبرهم

فكتوريا — وكيف تستخبرون ؟

ملبورن — عن كل شيء يا مولاتي ، وهو واجبنا المفروض علينا ، فليس من شأني أن أعرض على صاحبة الجلالة أحداً يتجه إليه اعتراض على وجه من الوجوه

فكتوريا — وقد وجدت منهم خمسة حتى الساعة ... ما أبرعك يا لورد ملبورن !

ملبورن — تحدثت يا مولاتي عن « المحتملين » ... ولا يزال الاستخبار جارياً عن الآخرين ، وأنا قائم بالبحث الآن ، ولعله لا يبقى منهم بعد مراجعة صاحبة الجلالة غير واحد

فكتوريا — أود أن ألقي نظرة على بيانك يا لورد ملبورن

ملبورن — إن أذنت مولاتي فبعد تمهيد وجيز عن الملاحظات التي تهديني في بحثي أعرض بياني لنظر مولاتي ، ولموافقتها فيما أرجو

فكتوريا — لا يسعني أن أوافق على خمسة !

ملبورن — على سبيل المراجعة الأولى لم لا يا مولاتي ؟ من خمسة يجرون مختارين السابق

فكتوريا — يجوز ألا أختار أحداً إلى زمن طويل ، ولكن على كل حال هات ما عندك . إنني مصغية ومهتمة

ملبورن — إن المزايا التي يمتاز بها قرين يليق بصاحبة الجلالة هي ولا ريب مزايا فريدة أو مزايا خاصة . ولعلي لا أعدو وصفها الصحيح إن قلت غريبة . فمن الواجب أولا أن يكون من سلالة ملكية ، ومع هذا يجب ألا يكون وارثاً مباشراً أو مرجحاً لعرش من عروش الملك أو الإمارة

فكتوريا — ولم لا يا لورد ملبورن ؟

ملبورن — لأن وراثته ربما جرت يا مولاتي إلى بعض

الشكلات السياسية . إن تاج هانوفر قد تجاوزك إلى غيرك لأن قانون الوراثة يقصر ولاية الملك على الذكور ، وتلك مناسبة سعيدة فيما أحسب ، فنحن لانحب مزيداً من تيجان هانوفر ، وإن البلاد لأحسن حالا بغير تلك التيجان

ولنعد إلى المزايا المطلوبة يا مولاتى . فالقرين اللائق بصاحبة الجلالة ينبغى فوق عراقته الملكية وبعده عن وراثة العرش أن يكون أميراً من بيت لا هو بالصغير المفرط فى الصغر ولا هو بالخطير المفرط فى العظم . إذ لا مناص لنا من اجتناب المحالفات المعقدة . وينبغى بعد هذا أن يدين بالعقيدة البروتستانتية

فكتوريا — أجل . أجل . فليس فى مقدورى أن أتزوج برجل « بابوى »

ملبورن — نعم يا مولاتى ليس فى مقدورك . إن قانون الولاية يمنع ذلك . ثم ينبغى أيضاً أن يكون شاباً كى يصبح قرين حياة لصاحبة الجلالة ؛ وينبغى أن يعرف أو يتعلم اللغة الانجليزية ، وأن يكون صالحاً لاقتباس العادات والتقاليد القومية . وإن هـذه المزية الأخيرة لأصعبها جميعاً لما هو معروف من تحرج الانجليز مع الأجانب

فكتوريا — لكنى يا لورد ملبورن أحسب ما تقول سيجعل الأمر مستحيلا

ملبورن — حاشا يا مولاتى . غاية ما هنالك أنه سيضيق نطاق الاختيار . ولا بد من العثور على أحد قادر بعد الاصطباغ بالصبغة الانجليزية أن يقتبس عاداتها ومشاربها . وقد حدث هذا فإن ابن عمك الأمير جورج أوف كامبردج مثلا يتخذ على عجل صورة الانجليزى المطبوع ، ولا تمضى سنوات خمس أو نحو ذلك حتى يتعود أن يجفو الأجانب كما نجفوهم

فكتوريا — لكن أتراك تجفو الأجانب يا لورد ملبورن ؟

ملبورن — كلا يامولاتى ! كلا ! وإنما أصطنع جفاءهم بعض الأحايين لأسباب سياسية

فكتوريا — حسن . وماذا بعد ما تقدم ؟

ملبورن — يجمل به فوق ما تقدم يا مولاتى أن يملك بعض الثروة وإن لم تكن عظيمة ؛ فإن البرلمان سوف يتكفل بما هو لازم ؛ ويجمل به أن يكون صاحب سمت لائق بمقامه ، وأن يكون على جانب من العقل لكن على غير جانب عظيم منه !!! إذ لا يحق له أن يتعرض لشؤون السياسة

فكتوريا — هذا حق ، ولن أسمح له بالتعرض لتلك الشؤون

ملبورن — ثم ينبغى أن يكون صحيح الجسم سليم التكوين ، منحدراً من « أصل أصيل » ... وهذا أصعب ماعانيناه فى المسألة إذ كان « الأصل الأصيل » فى الأسر الأوربية المالكة من أندر الصفات

فكتوريا — وضح من فضلك ، فإنى لا أكاد أفهم . ويخيل إلى أن كلمة « الأصل الأصيل » تنصرف إلى الماشية

ملبورن — هى كذلك يا مولاتى فى بعض معانيها ؛ بيد أنها تعنى أيضاً ما ينحدر من الوالد إلى الولد . ونحن نجدها فى الوصية الثانية حيث تنبئنا أن خطايا الآباء تنصب على الأبناء ؛ وكذلك الفضائل . ففى بعض السلالات الملكية قد امتزجت الخطايا والفضائل حتى لنخشى المزيد من امتزاجها والخلط بينها . ولهذا كان القران بين الأمراء الأقارب غير محمود المشورة

فكتوريا — أوه !

ملبورن — أعنى على الجملة لا على التقصى . وفيما يرجع إلى بعض الفروع من شجرة أسرتكم يا مولاتى ينطبق هذا لسوء الحظ أشد انطباق .. ومن ثم لم أضمن بيانى اسمى اثنين من أبناء عمومتك على الرغم من ذكرهما لى ، وإنهما لولا ذلك لكانا من أصلح المرشحين لتلك المكانة ، وهما صاحبا السمو الأمير إرنست والأمير ألبرت من ساكس كوبرج جوثا

فكتوريا — ومع هذا كانا يلوحان لى على أتم صحة وقوة عند ما رأيتهما منذ سنتين

ملبورن — في الظاهر يا مولاتى ، والظواهر طالما تخدع . والمسألة بعدُ دقيقة ، بل مؤلمة ، غير أنى لم أضمن اسميهما — اتباعاً لما عندي من الأنباء الطبية — فى البيان الذى أتشرف الآن بعرضه — على صاحبة الجلالة (وينهض ويقدم إليها البيان فتعبره بلمحة واحدة)

فكتوريا — أوه . ولكن هل ترانى أعرف أحداً منهم ؟

ملبورن — جلالتك تعرفين أحدهم حق المعرفة

فكتوريا — أوه . لا أحسب . أتعنى الأمير جورج ؟ إنه ابن عمى أيضاً

ملبورن — فى فرع آخر يا مولاتى ، وليس على هذا الفرع اعتراض من ذاك القبيل

فكتوريا — أوه ، لكنني لا أستطيع أن أقبل ابن عمي جورج ... إنه ... إنه

ملبورن — ليس من يريد أن يمس حتى حلالتك في اختيارك ... هناك غيره

فكتوريا — إلا أنني كما قلت لا أعرف أحداً منهم

ملبورن — يسهل إصلاح ذلك يا مولاتي . تدعينهم إلى البلاط واحداً واحداً ولا تقولين شيئاً ، ثم تصرفينهم ولا تقولين شيئاً . أو تقولين ما بدا لك ، ويبقى من يبقى ، أو يعود كرة أخرى

فكتوريا — لكنني أنا التي أختار . أليس كذلك ؟

ملبورن — نعم أنت التي تختارين يا صاحبة الجلالة ، ولا ضرورة تلجئك إلى الزواج إن أبيت

فكتوريا — أوه ، لكن لا بد من الزواج . هكذا كانت أمي تقول في كل حين

ملبورن — وهكذا سمعت . على أن مسألة لها مثل هذه الخطورة قلما يسمح فيها لولاء البنوة أن يؤثر في اختيار صاحب الجلالة . وإنما أقول يا مولاتي إنه على فرض أن هناك محاولة من محاولات التأثير على اختيارك في وجهة من الوجهات فالواجب يقضي عليّ لما قدمت من أسباب أن أعارض

فكتوريا — لورد ملبورن ، إنني لن أقبل معارضة ما في أمر من الأمور التي على هذا النحو . إنها لن تؤثر في رأيي لحظة

ملبورن — لا ؟

فكتوريا — على التحقيق ، وربما أثرت على النقيض في وجهة أخرى

ملبورن — فهمت يا مولاتي ، وأنا أشاطرك شعورك ، ولا أقول كلمة أخرى ، وإنما أكل المسألة إلى حسن رأيك ، وإلى ضميرك

فكتوريا — أوه ، ما أكرمك معي يا لورد ملبورن ! وكم ذا أتعلم منك !

ملبورن — بل كم ذا أتعلم أنا من مولاتي . لقد خدمت ملكين أسن من صاحبة الجلالة ، إلا أنني لم أخدم أحداً يصغي إلى المشورة بما تبدين من حكمة وحسن إصغاء

فكتوريا — (ناهضة) أستودعك إذن يا لورد ملبورن . أتبقى معك البيان أم تتركه هنا ؟

ملبورن — بإذنك يا مولاتي . اذكري ما قلته أو تفضلي بنسيانه ... فالاختيار لك وحدك وليس لأحد غيرك

فكتوريا — نعم ، ولكنك لم تُرني بعدُ صورة من الصور

ملبورن — صوراً يا مولاتي ، ولماذا الصور ؟

فكتوريا — لا يسعني أن أختار أحداً حتى أرى ملامح وجهه ، فليس هذا بالانصاف لهم ولا هو بالانصاف لي

ملبورن — تستطيعين أن تأمري بدعوتهم .

فكتوريا — كلا ! لا أنوي أن أدعو أحداً إن لم يعجبني مرآه

ملبورن — إن الصور لخادعة في بعض الأحيان يا مولاتي

فكتوريا — هذا صحيح . وقد رأيت منذ أيام صورة لابن عمي الأمير جورج أوف كمبردج ؛ فاذا به يلوح فيها وهو جميل

ملبورن — أستطيع أن أحصل على صورهم جميعاً يا مولاتي حسب مشيئتك ، ولكن المصورين في البلاط — مثلهم كمثل رؤساء الوزارات — يعرفون واجباتهم ، ولا يعملون إلا ما هو منظور منهم أن يعملوه ، فإن لم يقدروا على عمله فعليهم أن يذهبوا

فكتوريا — (وهي ذاهبة إلى المائدة) ... هذه صورة أرسلت إلى والدتي منذ أيام : صورة ابن عمي الأمير البرت

ملبورن — (وقد تبعها إلى المائدة) ... أوه .. آه . نعم

فكتوريا — لا شك أنه نشأ جميلاً . ليس في استطاعة مصور بلاط أن يتخيل صورة على هذا المثال

ملبورن — من يدري يا مولاتي ؟ من يدري ؟ إن الخيال ليجمح . . . فأما وقد استغنينا عن بيان الأسماء فهل أمضي الآن في جمع الصور لصاحبة الجلالة ؟

فكتوريا — أوه . كلا ! يا لورد ملبورن . لم أكن جادة حين ذكرت هذا

ملبورن — ولا أنا يا مولاتي . إلا أنني أتوسل إلى صاحبة الجلالة أن تفكر في هذا الأمر جادة . . . إن مصير هذه البلاد لفي هذه اليد الصغيرة ، وينحني على يد الملكة مقبلاً »

* * *

هذا الحوار طريف بشائق مفيد من جوانب كثيرة ، لأنه